

ثلاث قصص انشطارية

قصة

سامي حمزة*

الأولى

«ولم يخرج من جلده»

مقت إبليس ونفر من أولاده الشياطين، وأولاد السماسرة من نسلهم، يبدؤون يومهم بالكذب، ثم لا يتركون مخزية إلا استمسكوا بها.

---

* قاص سوري.

- العمل الفني: الفنان أحمد إلياس.

جافاهم وسئمهم وكاد ينزع صلته بناسه؛ بل كاد ينتزع جذوره من بين أشجار زقومهم، فلم يذهب لتهنئة دجالهم حين آب من منسكه، فقد تراءت له لحيته التي مادى في إطلاقها، فبدت كقناع وجه كومبارس مخفق، يحاول لَعِبَ دور زاهد، فقيه، ورع، متصوف.. شبه شهيد!!.

اختلطت الصور والأفاعيل والأمور في مخه، وقبل أن يتصدع رأسه اتخذَ موقفاً مصمماً أن يبتعد عنهم، علّه يتحاشى خبثهم ونجاستهم ولؤمهم، فاستعاذ بالصدق من طوفان النصب والخداع وفكر.. إذاً لابدّ أن يخرج من جلده نهائياً، فلقي ذلك من المحال، واصطدم بواقعهم وهم يتماهرون بوضع ألياتهم بدل مبشرات وجوههم، فالتصقت بها كما اللحم على العظم، وتلبّستهم رذالاتهم عوض أية حلة حاولوا التماهي بها.

كادَ الرجل يُجن، إذ كيف لشجرةٍ تتخلى عن لحاء جذعها!؟.

أفاق وهلة يُنْشِدُ الخلاص، فتوجه فجراً إلى حمام السوق، منادياً صاحبه، باذلاً بين يديه حفنة دراهم قائلاً: سأدخل «الجواني» فليتبعني أمهر مكيّسٍ عندك.

وبعد أن تصبب تعرقاً.. خَدِر ونَعِسَ ولم ينم، صار جلده يحكه ككوكائين ينهشه، تمرّغ متقلباً.. صارخاً متألماً وزمجر متأوهاً (الأدران تعضني).. هيا يا مكيّس، هاتِ أخشن ما لديك وأفرك أعضائي كلها، واظبّ حتى لو نزف الدم من أنحائي، افرك وكيسني حتى لو كشطتَ عن هيكلي كل لحمي.. أريد التخلص من هوام الجرب.. أواه.. صديد الدمامل قيحتني.. هيا فأراذل ناسي يعششون تحت جلدي، إنهم يشفطون مخ عظامي..هيا، لكن احرص ألا تمسَّ بشرتي، أريدك أن تخرجني بكامل سحنتي، ليس لدي أهم من ذلك، كيسني ملياً دون أن تخرجني من جلدي.. إن شئت مزقني، فالذي أوجدني نطفةً حري بإعادة ترميمي؛ افعل ما طلبته منك دون شفقة ولا تابه لهلو ساتي، حسبك أن تبقي على وجهي ولساني.

* * *

الثانية

«عضاريط أم الجعل»
(من وحي ألف ليلة وليلة)

غشَّ.. أو تحيّل، انصب وتآمر، اكذب وخن وتلوّن.. وارب كما شئت، فليس عليك حرج، المهم أتقن التزييف بمهارة، كن تابعاً أو ذيلاً، قل مساءً ما يناقض كلامك صباحاً، تصبح «دم قراطياً» بامتياز حسب ما يروجه الأفاكون.

قعد المخبول وتأمل ملياً.. طالع الصحف واستمع إلى نشرات الأخبار؛ وهي تردد بخطابية مستفِزة «إن الظروف الصعبة العصيبة التي تمر بها الأمة.» استوقفته هذه العبارة وقد سمعها منذ عرف الدنيا.

وتساءل: إلامَ؟

هجع وألفى نفسه لا يملك بيتاً ولا أرضاً، وظيفةً أو عملاً ثابتاً، وقضى عمره تحت تلالٍ من الواجبات، ولم يسمع قط أن له حق في شيءٍ من درك قاع الوطن.!.

قرف الكلام فهدّه التعب من لاشيء، وتراخى شيئاً فشيئاً ونام كالمنبج.

تراءى له في المنام جمعٌ ممن استبدلوا بشراتهم بلحوم آلياتهم، لا تستر عوراتهم ورقة توت.. يتزاحمون لتقديم الولاء لأم الجعل.

وتساءل عمن يكونون؟، فأتاه الجواب مدبلساً: إنهم حكامٌ عرب! صيرتهم الخنفساء مُغْمَدة الأجنحة حفنةً ترصرصها فتدركلها قدّامها باتجاه «بولتون» وهو يتقيأ مصائرهم وهم يلتمسون تلميع حذاءه بألسنتهم، وزمجر معلناً تحالفه مع الشيطان ذاته ليحقق مآرب أصحاب «البروتوكولات».

فتزاعقوا: مولانا.. نحن أباليسٌ.. طوع يديك.. خَدَمُ شاربيك.. فارضَ عنا نرتجوك. وفي الآن نفسه تجاسر أمّعة أنه سيتنحى ولن يُجدد الخوزقة على كرسي الحكم.

وقع النبأ عليهم صاعقاً.. فارتبكوا وتشاوروا واتصلوا، وسادتهم توترات واضطرابات، وبدؤوا وساطات شابها لومٌ مبطّن: أن كيف تتنحى في هذا الظرف العصيب الذي تمر به الأمة؟ دون أن تأخذ مصائرنا بالحسبان!!

بعضهم هدده علناً: تراجعْ.. أو قتلناك بواساطة الإرهاب!!

أفاق المخبول مقهقهاً واستمر ضاحكاً، وقد تجلت له اللعبة؛ ومثلما توقّع لم يطل إعلان التنحي، إذ استجاب لرغبات الأعزاء الحكام كي لا يسجّل سابقة تودي إلى زعزعة كراسيهم وعروشهم.. بينما باركته في الخفاء أم إثر رضوخه لأوامرها.

ووقع الناس في خيبة واكتئاب، وحكى المخبول بفجاجة أنهم إنما حلموا بما لن يكون. وحاجبهم أن يذكروا اسم مجرد وزير أو مدير عام، استقال طواعية أو احتجاجاً منذ مئة عام وعام؟

ثم أصبحت وأضحت وأمست أم الجعل تهشّ الحكام كالإبل والغنم على حدٍ سواء. وتوجهت تواً إلى زُلمها مواليد «ثلاثين شباط» فقرعتهم موبخة إذ قبضوا ولم يفوا بتآمرٍ فعّال استأجرتهم لأجله.

فتهافتوا وأولموا على شرفها، فخنخنت متعالية بأنها ليست راضية.. إنما تتناول معهم بعض المقبلات، أما وجبة الغداء فمع تاجر البندقية.. وأدارت ظهرها وضرطت عليهم دون أن تلتفت نحوهم.

وظلوا يتحزرون، ترى أي البارفانات هذا الذي تركته يفوح منها؟!

وفي الصباح أمرت الحكام أن يرسلوا وزراءهم جميعاً بطائرتين راضختين لما حددته لهم من أصباغ «لسكاسيكهم» فتسارعوا كأنهم يعتمرون إثر تلقيهم أوامر قصور عواصمهم مباشرةً!!.

خلال رحلتيهم تزاعقت فضائياتهم بما سُرب إليها مدعية تسابقهم للإغاثة وإعادة الإعمار. بينما أوصلت شحنة تُقَزْقَزُ مع «الويسكي والعرق»، بدل التبولة والفتوش، لاستحالة تأمين البرغل والزيت والبقدونس، حسب زعمهم!!.

وبالآن ذاته أمر كبير الملوك تعويض الطرف الآخر من إصابات الصواريخ التي باغتتهم على حين غرة!! فأعلن دعمهم بشراء أسلحة بـ /عشرة مليارات/ ليستخدمها بالصيد والقنص، تمسكاً بنفحة القيم والتقاليد الأصيلة وحوّلوا الجيوش العارمة إلى قوات درك أليفة.

حينئذٍ خمن الغشماء أن يحتج الأميرالات والجنرالات، بيد أن تخمينهم ذهب سدى، إذ توافدوا متصاغرين بالمثول بين أيدي أولياء نعمهم مرددين: ما همنا إلا أن نظل خدماً في قصوركم الفارهة. فهلل لهم مواليد ثلاثين شباط، وهمست أم الجعل: استمتعوا بقصوركم ومحظياتكم وصبيانكم وفاتنات الشرق والغرب، ريث أن نَنْفِدَ النفط.

وأدرك القوم المســاء، فسكتوا -كالعادة- عن الكلام المبــاح، فناموا على شــرخٍ أوسخ يُجهز لهم.. ولو بعد ألف يومٍ ويوم.

* * *

الثالثة

توقيع محضر الجلسة.. أصولاً

بداية ما نُصِبَ مدير دائرةٍ خِدْمية، قصد أمهر خياطي المدينة، ودخل مخازن القمصان وربطات العنق والأحذية، وتجوّل في محال بيع أثاث المكاتب، وحجز حجزاً دائماً ركناً لسهراته في أفخم المطاعم، واستبدل السكرتيرة بأخرى، وانتقى أفضل وأحدث سيارات المديرية لتصرفه الخاص.

بعــد أشهــر انعقــد المجلــس الخِدْمي، فاستعرض أعضاءُ المجلس في انشداهٍ ودهشةٍ، حوقل وضرب كفاً بكــفٍ، ثم تجرأ واعترض أنه قَدِمَ تواً من القرية ولا أثر للطريق المعبّد المزفّت في المحضر!

غضب المحافظ، أرغــى وأزبد، استخفّ بالرجــل، عنّفــه وقرّعه، ثم قمعــه وأسكته؛ وسط صمــت الحاضرين، مؤكــداً أن مدير المديريــة «مهندســ» وليســ راعــي غنم!!. والمحضر مستوفٍ الشروط أصولاً؛ ثم صدّقه موقعاً عليه بالأخضر؛ ونبس أن تتلى التقارير التي تليه؛ عن طرقات وآبارٍ شتى..!. واستمر المجلســ حتى اختتم الجلسة، ووقع الأعضاء وبصموا الذي انتهــى بفقرة (ما يستجد من أمــور) فكتب رئيس الديوان المنتدب «لا شيء يستحق الذكر».

بعد تسع سنوات مررت بتلك القرية ضمن حملة محو الأميّة، صادفت الرجل إياه وبادرته إني لم ألحظ الطريق معبداً.!؟...

شخص بصــره في الأفق وهــو يلف تبغاً وقــال: عندما انتقل السيــد المحافظ، طواه مدير المديرية إياه وقدّمــه هدية له، فأخذه مع أثاثه إلى مزرعته. ■■

☆ ☆ ☆